

الفصل السادس

جيل المؤسسين الأوائل وجيل شباب الثورة

جيل المؤسسين الأوائل هو جيل المؤمنين في صدر الإسلام، جيل احتضن القرآن فتشرب تعاليمه وقيمه الأخلاقية وعاش حياته قرآنى التوجه، توحيدى المعتقد، أخلاقى السلوك، علمى التفكير، حضارى الوعي، وقد احتضنه - أيضًا - هذا القرآن بالتوجيه والتعليم والإرشاد والهداية، جيل رباه النبي ﷺ فخلق من بداوة الإنسان العربى فى جاهليته إنساناً عربياً مؤمناً قوى الإيمان فى عقيدته وفى عبادته وفى أخلاقه وفى معاملاته، جيل إنسانى متميز لإنسان يمكن أن نصفه بأنه إنسان متحضر الذى على أكتافه قام الدين وانتشر، وقامت الدولة وتطورت، فى تأخ للمؤمنين وتألف بين قلوبهم، قادة ومواطنين.

إن ذلك الجيل هـ والنموذج الأرقى للإنسان الذى يجب على جيلنا المعاصر أن يترسم خطاه، ويقتدى بسلوكه والسلوك الأخلاقى لمثله الأعلى النبى محمد ﷺ، وهو قرآن حى فى خلقه العظيم ورحمته للعالمين ﷻ.

إن جيل المصرين المعاصر يحتاج أن يبنى نفسه على نفس نمط البنيان الشامخ والمتقدم لجيل الصدر الأول. يجب أن يتحرر جيلنا المعاصر من التسيب الأخلاقى والتدهور فى القيم ومن براثن التخلف بكل صوره وبكل آثاره، وأن يتحصن بالعلم والمعرفة، وأن يطرح عن كاهله القصة الدينية التى لا أصل لها، وأوهام الخرافة والخيال، وتقديس الرجال، وجهود ضيق الأفق والانغلاق، والفهم المنقوص للإسلام.. وهى العوامل التى

تؤدي إلى ضياع مفهومية الإسلام الحضارى وهدفية التربية والسلوك الأخلاقيين لتؤكد في غيابها انعزالية التواكل في الدنيا، وحصرية الدين في الشعائر التعبدية وغالبًا في شكلها لا موضوعها، فيترجع الإنسان الذي هو في الحقيقة قوام الدين والدولة معًا، عن أداء دوره في إجراء التغيير نحو الأفضل والإصلاح نحو الأحسن، ووعيه بالتمسك بحقوقه وحرياته، ومعرفته بأصول نهضته وتقدم مجتمعه ودولته، وطريق تمدنه وحضارته. ومن هنا تأتي ضرورة تجديد الخطاب الديني لتكون رسالة علمائه الأساسية هي الارتقاء بالإنسان المواطن في الدولة عن طريق بيان الدور الأخلاقي الذي لا غنى عنه للدين في بناء هذا الإنسان المواطن وتنمية وعيه الحضارى وتصحيح مفهومه للدين بتوضيح دوره في البناء والتعمير عملاً في الدنيا لتحقيق أمانة الخلافة في الأرض، ودوره في تدعيم البنية المؤسسية للدولة والأصول التي تنبنى عليها نهضتها وتنبنى عليها جهودها لتجاوز التخلف ومشاكله.. وذلك لن يتحقق إلا بتنمية الوعي الأخلاقي والسياسي والعلمي والثقافي والاجتماعي في إطار الوعي برسالة الدين الحضارية وترسيمه لدعائم الحرية والديمقراطية.

ومن هنا تبرز- أيضاً- أهمية تجديد الخطاب السياسي من أجل تنمية وعي الإنسان المواطن، وتوجيهه لتعلم قيم مثل الديمقراطية والشورى من خلال تربيته تربية سياسية ديمقراطية يستطيع بها- مثلاً- أن يختار أولاً ثم يفهم ويقيم دور المجالس النيابية في التشريع والرقابة وتقييم السياسات، ودور الضوابط الدستورية والرقابة القضائية في حماية مباشرته لحقوقه وواجباته وفقاً للدستور والقوانين، ودور السلطة التنفيذية الخاضع للدستور والقانون دون أن يتجاوزهما، وأهداف وسياسات الحكومة في النطاق المحلي والإقليمي والدولي، وأهدافها وخططها الاقتصادية والاجتماعية.. وأهداف رسائل الثقافة والفنون والآداب والإعلام... إلخ.

إننا أمام تساؤل مضمونه من هو إنسان القرآن؟

إنسان القرآن هو الإنسان الخليفة المكلف الذي حمل أمانة العقل بكل خصائصه وطاقاته، الإنسان الحر المكرم من خالقة، يملك أن يطيع وأن يعصى، ترفعه طاعته إلى

أعلى عليين - الأرواح الطاهرة، وتنزله معصيته إلى أسفل سافلين - الشياطين الضالة. الإنسان مسؤول عن همه في الحياة الدنيا مسؤولية فردية فهو لا يحمل وزر غيره ولا نتائج عمل غيره وهو لذلك يحاسب حساباً شخصياً يوم القيامة فيما يقرأ من كتابه الذى يلقاه منشوراً ﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤]، الإنسان ثنائى التكوين، روح وجسد، لكل منهما متطلباته ودواعيه، وهو بالفعل يحافظ على التوازن بينهما بميزان العدل الذى لا يبغض للجسد ودواعيه حقه يطفيان روحه المتطلعة إلى الملأ الأعلى، كما لا ينجس للروح ودواعيها حقها بطفيان الجسد ودواعيه من الغريزة الجامحة غير المنضبطة بشرع الله.. بذلك تتوازن شخصية الإنسان وتكتمل صحته النفسية ليصبح إنساناً سويصاً وسطاً ومعتدلاً فى أقواله وأعماله وسلوكياته، تدعمه أخلاقيات الدين بالقيم الروحية والمعاملات الحسنة التى يمكنها أن تواجه الضغوط المادية الى يواجهها إنسان هذا العصر الذى طغت فيه المادة والنظرة الدنيوية البحتة التى لا تقيم للأخرة وزناً ولا للحساب شأناً.

إن الإنسان بأصله الآدمى هو ابن ذكر وأنثى يتنمى إلى قبائل وشعوب وأمم متباينة لا فضل فيها لأحد على غيره إلا بالعمل الصالح وتقوى الخالق، ولا تمايز من إنسان وآخر فيها إلا بالأخلاق الكريمة التى هى محور الأديان السماوية كلها.

إن أول ما تنزل إلى الإنسان من آيات كلام الله هو «إقرأ باسم الإله الذى خلق الطبيعة الكونية وخلق الإنسان الأول وعلمه القراءة (القرآن) والبيان (اللغة)، وإن خطاب النبوة والرسالة الموجه إلى عقل الإنسان قد اختتم سلطان الأحبار والقادة وتقديسهم، كما اختتم سلطان المعجزات المادية وخوارق العادات، ليظل الخطاب الدينى موجهاً إلى «العقل» المتناغم مع الطبيعة (المادة - الطاقة) والعامل فى الإنسان نفسه الذى يحمل فى تركيبه وحدة المادة والفكر ليدرك الإنسان ما حوله من خلال الشعور الذاتى بوجوده - الحد المستقل.

لقد ساق القرآن نصوصه فى آدم فى صورة قصة، والمحور الذى يدور عليه القصص القرأنى هو الدعوة إلى الإله الخالق وتوحيده، كما إن المحور الذى تدور عليه القصة

الآدمية هو كشف أغوار النفس الإنسانية والطبيعة البشرية والقدرات والخصائص العقلية والروحية للإنسان في علاقته بالطبيعة وبأخيه الإنسان وبالإله الخالق من خلال إبراز حقيقة معنى «العصيان» لآدم الذى إنما يشير إلى الإرادة الحرة لهذا المخلوق الفريد وقدرته المستقلة على الانصياع للأمر الإلهى أو عدم الانصياع، أى الطاعة والعصيان وليس المعصية كما يظن البعض.

إن القرآن يستند فى تعامله مع الإنسان إلى مبدأى الخبرة والعلم الإلهى بالإنسان وبطبائعه ونوازعه وخواطره والهوامات وقدرات عقله وروحه إلى جانب دواعى فسيولوجية وغرائزه... إلخ، ومن هنا تأتى المعالجة القرآنية لشؤون الإنسان على أكمل ما تكون المعرفة بالإنسان ذاته ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المالك: ١٤] ولتوجيه سائر العلوم والمعارف المتصلة بالإنسان للتعامل معه من هذا المنطلق المعرفى خاصة فى موضوعات النفس بما يصمن صحتها وسلامتها وتوازنها لأن الإنسان فى المنظور الإسلامى كيان متكامل ويجب ألا ننظر إليه من ناحية سلوكه الظاهر ونلغى ما فى باطنه من مشاعر وخواطر وخلجات تستند إلى النيات أى الدوافع والاتجاهات، بل نجمعهما معاً، لتظل العلاقة بين النفس والقلب والعقل والروح فى اتصال بجسد الإنسان ووظائف أعضائه، علاقة وثيقة ومتشابكة ومتداخلة، كل فيما هو مسر له وهدى إليه من خالقه، وقد وضع القرآن مبدئ اجتماعياً وتربوياً مفادة أن الإنسان هو أساس «التغيير» فى المجتمع وفى الدولة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَمْشِي حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] كذلك إلى الأفضل أو إلى الأسوء أى نحو التقدم أو نحو التأخر.

لقد حفظ الله لنا «القرآن» - وهو المرجعية الإسلامية العليا للدولة - حياً ينبض بكل أسباب الحياة الحقيقية من حيث هو روح يمد الأرواح، ونور يهدى القلوب، وفرقان يستنير به الفكر الحر والعقل المؤمن، وقواعد تنبنى عليها حضارة إنسانية قوامها التقدم المادى والروحى فى اعتدال ووسطية وتوازن، ومن حيث هو منهاج للأخلاق الكريمة ودعوة للسلوك العقلانى الحضارى، ودين كامل وشامل ينظم شئون الناس فى أمورهم العقيدية وأمور دنياهم الاجتماعية ليسود منهاج الشريعة فى حياتهم ويسود

قانون الشريعة في دولتهم، وبحيث لا يتعدى إنسان على آخر ولا مواطن على آخر فيما يتعلق بحق كل واحد في اختياره الحر لرجعيته الإيمانية وفي إقامة شعائره العقيدية وفي تطبيق شريعته القانونية التي يتساوى أمامها جميع المواطنين.

كما حفظ الله لنا سيرة وصفات وخصائص ومعاني إنسان بشر، وسراج منير، قدوة لنا ومثلاً أعلى للأخلاق العظيمة هو محمد رسول الله ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]؛ لنحيا معه في عصرنا كما عاش معه جيل المؤسسين الأوائل من الصحابة الذين عاصروا شريعته وأسسوا معه أول دولة مدنية قانونية في تاريخ الإسلام، على هدى من نموذجها لعمل لبناء مصر الحديثة. إن المصريين يحتاجون إلى قدوة صالحة، في كافة مستويات المسئولية في الدولة، وشخصية الرسول الإنسان القدوة لا تخضع لفوارق بعد الزمان واختلاف المكان، شخصية لا تنتهي أضواؤها بانتهاء حياتها الجسدية بالمت، بل هي شخصية باقية بروحها الطاهرة الخالدة، يتأسى بسراجيتها المنيرة اليوم كل مصري بل كل مسلم، فتمده بقوة في العقيدة وطاقته في العمل المثقن البناء، ودافعاً للعبادة الخالصة التي تحقق الهدف المنشود منها، وهو تقوية الصلة المستديمة بالله سبحانه وتعالى، أى (الذكر) الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر من القول والعمل. ونموذجاً للسلوك الأخلاقي الحضارى القائم على الإخاء والمحبة والتعاون والتسامح والسلام، وإضافة للعطاء والإيثار والتضحية من أجل تقدم الوطن ونهضته وسلامته... هكذا يعيش معنا محمد رسول الله ﷺ بسراجيته المنيرة، صفاتاً وأخلاقاً وسنة، وبالكتاب الذي أوحى إليه، قرآناً محفوظاً، وهكذا نعيش نحن معه اليوم متحققين بصفات أهل المعية ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاءَهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَيْجٍ أَخْرَجَ شَطَكُهُ فَآزَرَهُ. فَاسْتَخْلَفَ فَاستَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّרَّاعَ لِيَصِيْطَ بِهِمْ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩] فأهل معية محمد ﷺ ليسوا أسماء بعينها، وإنما المتحلون بصفات أهل المعية في كل زمان.

إن الدولة ومؤسساتها وهيئاتها الأهلية والحكومية لا يمكن أن تتغير أحوالها إلى

الأفضل إلا إذا تغير حال إنسانها المواطن إلى الأفضل، والإنسان المواطن لا يمكن أن ينصلح حاله ويرتقى إلى الأحسن إلا من خلال الأديان بخطابها الموضوعى العلمى والإيمانى والأخلاقي، ولذلك فإن الدين والدولة الحديثة - في هذا الإطار - يتداخلان ويعتمد كل منهما على الآخر، متفاعلين معًا لإيجاد الإنسان المواطن الصالح المتصف بالوعى بحقوقه وواجباته، وبالمعرفة بحاجاته الأساسية وحاجات مجتمعه، وبالعلم بالأسس التى تنبنى عليها مؤسسات حكومته ودولته، وبالثقافة التى يطلع بها على تجارب الآخرين فى عالمه، وبالمعرفة المهنية، الفنية والتقنية، التى تحقق الإتقان فى عمله والجودة فى إنتاجه، وبالأخلاق التى تحقق الإخلاص فى عمله والانتباه لمنشأته والحب لوطنه.

إن جيل المؤسسين الأوائل هو جيل صحابة محمد الذين شيدوا مع قائدهم وقودتهم الدولة المدنية القانونية الجديدة - الحديثة بمعيار زمانها - فى المدينة المنورة على أسس من المرجعية الإسلامية العليا، فكانت فى زمانها دولة ديمقراطية عرفت حقوق الإنسان قبل غيرها، واحترمت كرامة الإنسان قبل غيرها، وازدهرت فيها الحرية والعدالة والمساواة أمام القانون كما عرفت معنى المواطنة الحقيقية، كما تجلت فى ميثاق المدينة بين المسلمين واليهود آنذاك... دولة قامت على الإيثار والعلم والأخلاق الفاضلة وعلى الأخوة والمحبة والتسامح والسلام والإيثار والتعاون وحسن المعاملة والرحمة بين الناس، كل الناس. دولة قامت على دستور إلهى هو القرآن، آمن به ورضى به كل مواطنى الدولة من المسلمين، وعلى قانون هو الشريعة الإسلامية المستمدة من كتاب الأمة الإلهى المصدر... ودولة حققت المساواة والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص، وعلى العمل المتقن الصالح والنافع والبناء، والإدارة الرشيدة والشورى الراشدة.

وجيل شباب الثورة المعاصر يتطلع إلى بناء مصر الحديثة، وتنطلع معه إلى بنائها على نفس الأسس الدستورية والقانونية ونفس القواعد والمبادئ العامة التى التزم بها الأولون مطبقة فى بيئتنا المعاصرة وفق متغيرات الزمان والمكان والأعراف والعادات والتطور المعلوماتى والعلمى والتكنولوجى المصرى والعربى والإسلامى والإنسانى

العالمى، بصورة عصرية حضارية حديثة بينها الإنسان المصرى الذى ضحى فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ بأرواح الشهداء من أجل التغيير إلى الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية والقضاء على الفساد والظلم والاستبداد من أجل إقامة دولة ديمقراطية قوية قائمة على الشورى والمشاورة، تعلق بإرادة مواطنيها جميعاً دون أية تفرقة بينهم على واقع التخلف من أجل التقدم والنهضة الشاملة.